

الفصل الخامس
فصل جامع في الصحابة والتابعين
وآداب الرواية

وفيه :

المبحث الأول : الموقف والمقطوع .

المبحث الثاني : الصحابة .

المبحث الثالث : التابعون .

المبحث الرابع : آداب رواية الحديث ومجاليه .

المبحث الخامس : ألقاب أهل الحديث .

المبحث السادس : أشهر ما صنف في علوم الحديث .

obeikandi.com

المبحث الأول

الموقوف والمقطوع

نرى من المناسب أن نعرف هنا بالموقوف والمقطوع، وقد اعتاد المحدثون والمصنفون في علوم الحديث ومصطلحه إدخالها في الضعيف، وإن صح طريقتهما.

١ - فالموقوف^(١): هو ما روي عن الصحابي من قول له أو فعل أو تقرير، متصلاً كان أو منقطعاً. واشترط بعضهم أن يكون متصل الإسناد إلى الصحابي غير منقطع.

ويستعمل الموقوف في غير الصحابي مقيداً، فيقال: وقفه فلان على الزهري، أو على مالك. وإذا أطلق لا يراد به إلا ما انتهى إلى الصحابي فقط.

وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً، والمرفوع خبراً، ويطلق المحدثون على هذا أثراً.

وليس للموقوف حكم الحديث المرفوع عند جمهور أهل العلم، أما إذا

(١) أهم مراجع هذه الفقرة: «معرفة علوم الحديث» ص ١٩ وما بعدها، و«الكفاية» ص ٢١، و«جامع الأصول» ص ٤٨ - ٥٠ ج ١، و«فتح المغيث» للعراقي ص ٥٨ ج ١، و«مقدمة» ابن الصلاح ص ١٨، و«شرح نخبة الفكر» ص ٣٠، و«تدريب الراوي» ص ١٠٩ - ١١٦، و«توضيح الأفكار» ص ٢٦١ ج ١، و«المستصفى» ص ١٣٥ ج ١، و«الأحكام» للأمدى ص ١٣٥ ج ٢.

وجدت قرينة تدل على رفع الموقوف فله حينئذ حكم المرفوع، كأن يقول الصحابي: «كنا نقول أو نفعل كذا وكذا في عهد الرسول ﷺ» ونحو هذا، وإذا لم يصفه إلى عصر النبي ﷺ فهو موقوف.

ويلحق بالمرفوع قول الصحابي: كنا لا نرى بأساً بكذا وكذا في حياة الرسول ﷺ، أو كانوا يقولون، أو يفعلون، أو لا يرون بأساً بكذا في حياته عليه الصلاة والسلام، فكل ذلك له حكم المرفوع سواء أكان قول الصحابي في حياة الرسول ﷺ أم بعد وفاته.

ويلحق بهذا أيضاً قول الصحابي أمرنا بكذا، أو نهينا عن كذا، أو من السنة كذا وكذا، فكل هذا له حكم المرفوع عند الجمهور، وقال بعضهم ليس له ذلك.

وإذا قال الراوي عند ذكر الصحابي: يرفعه، أو ينميه، أو يبلغ به^(١)، فكل هذا ونحوه له حكم الرفع.

ولقول الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حكم المرفوع في التفسير الذي يتعلق بسبب نزول آية، مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن الرسول ﷺ، ولا مدخل للرأي فيه، وأما ما كان للرأي مدخل فيه، وقد خلا من قرينة تدل على رفعه، فكله موقوف.

٢- المقتطوع^(٢): وهو ما روي عن التابعين موقوفاً عليهم من أقوالهم أو

(١) ومثاله قول ابن عباس: الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمي عن الكي. رفع الحديث، أخرجه البخاري في «صحيحه». انظر «صحيح» البخاري بحاشية السندي ص ٩ ج ٤، وقارن به «تدريب الراوي» ص ١١٤، وص ١١٥ منه.

(٢) انظر «الكفاية» ص ٢١، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ف ١٦٣٥ =

أفعالهم ، وجمعه مقاطع ومقاطع .

وقد استعمل بعضهم المقطوع في المنقطع الذي لم يتصل سنده ، وذلك قبل استقرار هذا الاصطلاح .

وإذا نقل عن التابعي قوله : أمرنا بكذا ، أو نهيئنا عن كذا ، أو من السنة كذا . قال بعضهم : له حكم المرسل ، وقال آخرون : فيه احتمالان إما أنه موقوف أو مرسل مرفوع .

وفي رأينا أن قول التابعي : من السنة كذا وكذا . له حكم المرسل ، لأنه لا يقول ذلك إلا إذا تأكد عنده بسامعه من أحد الصحابة رضي الله عنهم ، فهو بمنزلة قول التابعي قال رسول الله ﷺ ، وإن كان قوله : من السنة كذا وكذا . يحتمل السنة بمعنى ما عمل به الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم ، أم في المأثور عن النبي ﷺ ، أم لا .

ومما تجدر ملاحظته أن بحث المقطوع من مباحث المتن ، وأن بحث المنقطع - الذي سبق بيانه - من مباحث السند ، فالأول ما وقف على التابعي ، والثاني ما نسب إلى الرسول ﷺ ، وكان في سنده انقطاع وعدم اتصال .

وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن الموقوف أو المقطوع المتصل إسناده إلى من وقف عليه من مباحث المتن لا من مباحث السند . ويمكننا أن نقسم الحديث باعتبار من يسند إليه : إلى مرفوع وهو ما ينتهي إلى الرسول ﷺ ،

= و«مقدمة» ابن الصلاح : ص ١٩ ، و«فتح المغيث» للعراقي ص ٥٩ ج ١ ، و«شرح نخبة الفكر» ص ٣٠ ، و«تدريب الراوي» ص ١١٧ ، وقارن بالصفحة ١١٣ ، ١١٥ منه ، و«توضيح الأفكار» ص ٢٦٥ ج ١ .

وإلى موقف وهو ما ينتهي إلى الصحابي، ومقطوع وهو ما ينتهي إلى التابعي .
ولما كانت لمعرفة الصحابة والتابعين أهمية كبيرة في بيان المرفوع والموقوف
والمقطوع والمرسل وغير ذلك، ولما للصحابة والتابعين من منزلة رفيعة، ومكانة
علمية عالية وبخاصة في حفظ السنة ونقلها، نرى من المناسب أن نتناول في
البحثين التاليين الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

★ ★ ★

المبحث الثاني

الصحابة

رضوان الله عليهم أجمعين

- ١ - تعريف الصحابي .
- ٢ - طبقات الصحابة .
- ٣ - كيف يعرف الصحابي ؟
- ٤ - عدالة الصحابة .
- ٥ - عدد الصحابة .
- ٦ - علم الصحابي .
- ٧ - الصحابة المكثرون من الرواية .
- ٨ - آخر الصحابة وفاة .
- ٩ - أشهر ما صنف في الصحابة .

أولاً - تعريف الصحابي :

الصحابي لغة : مشتق من الصحبة ، وليس مشتقاً من قدر خاص منها ، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً ، كما أن القول : مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكاملة ، والمخاطبة ، والضرب ، وجار على كل من وقع منه ذلك ، قليلاً كان أو كثيراً ، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال . وكذلك يقال : صحب فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة ، فيقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره^(١) .

والصحابي عند المحدثين : هو كل مسلم رأى رسول الله ﷺ^(٢) ، قال البخاري في «صحيحه» : من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه . وذكر الإمام أحمد من أصحاب رسول الله ﷺ أهل بدر ثم قال : أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ، القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ، ونظر إليه^(٣) .

-
- (١) انظر «الكفاية في علم الرواية» ص ٥١ ، و«فتح المغيث» ص ٣١ ج ٤ عن أبي بكر الباقلاني ، وانظر «لسان العرب» ص ٧ ج ٢ .
- (٢) انظر «مقدمة» ابن الصلاح ص ١١٨ ، و«الباعث الحثيث» ص ٢٠١ ، و«تدريب الراوي» ص ٣٩٦ ، و«فتح المغيث» ص ٢٩ ج ٤ .
- (٣) «الكفاية» ص ٥١ ، و«تلقيح فهم أهل الآثار» ص ٢٧ : ب .

قال ابن حزم رحمه الله : «أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة ، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها ، أو شاهد منه عليه السلام أمراً يعيه ، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتبهوا حتى ماتوا على ذلك ، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه كهيت المختث ومن جرى مجراه - انظر خبره في «الإصابة» ص ٥٨٠ - ٥٨١ ، ترجمة ٩٠٢٢ ج ٢ - فمن كان كما وصفنا أولاً فهو صاحب ، =

= وكلهم عدل إمام فاضل رضي، فرض علينا توقيهم وتعظيمهم، وأن نستغفر لهم ونحبهم». «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم ص ٦٦٣ ج ٥.

وقال ابن الصلاح: «بلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحابة». «مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨، و«فتح المغيث» ص ٣٠ - ٣١ ج ٤.

وقال آخرون: لا بد في إطلاق الصحبة مع الرؤية أن يروي حديثاً أو حديثين. انظر «الباعث الحثيث» ص ٢٠٣، و«فتح المغيث» ص ٣٢ ج ٤.

وقال الواقدي: «ورأيت أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ، وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار. «تلقيح فهم أهل الآثار» ص ٢٧: ب، ونحوه في «فتح المغيث» ص ٣٢ ج ٤، و«الكفاية» ص ٥١، إلا أن تعريف الواقدي هذا يخرج بعض الصحابة الذين رأوا رسول الله وهم دون الحلم ورووا عنه، كعبد الله بن عباس، والحسن، والحسين، وابن الزبير، وغيرهم رضي الله عنهم، ولذلك قال العراقي: «والتقييد بالبلوغ شاذ». «فتح المغيث» ص ٣٢ ج ٤.

وقال إمام التابعين سعيد بن المسيّب: «الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين» «الكفاية» ص ٥٠ - ٥١، و«الباعث الحثيث» ص ٢٠٣، و«تلقيح فهم أهل الآثار» ص ٢٧: ب، و«تدريب الراوي» ص ٣٩٨.

قال ابن الصلاح: «وكأن المراد بهذا - إن صح عنه - راجع إلى المحكي عن الأصوليين، ولكن في عبارته ضيق يوجب ألا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلي ومن شاركه...».

قال العراقي: «ولا يصح هذا عن ابن المسيّب، ففي الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث». «فتح المغيث» ص ٣٢ ج ٤.

قال ابن الجوزي: «وعموم العلماء على خلاف قول ابن المسيّب، فإنهم عدوا جرير ابن عبد الله البجلي من الصحابة، وإنما أسلم في سنة عشر، وغدوا من الصحابة من =

قال ابن حجر: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، فدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغزو، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»^(١) وهو رأي الجمهور^(٢).

= لم يغز معه، ومن توفي رسول الله ﷺ وهو صغير السن، ولم يجالسه، ولم يهاشه، فألحقوه بالصحابة إلحاقاً، وإن كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه. «تلقح فهوهم أهل الآثار» ص ٢٧: ب.

(١) «الإصابة» ص ٤ ج ١ وهكذا ليس من عاصر الرسول ﷺ ولم يره صحابياً كما قاله بعضهم، انظر جميع المراجع السابقة.

(٢) والرؤية عند أنس بن مالك رضي الله عنه لا تكفي لجعل الرائي صحابياً. روى شعبة عن موسى السبلي وأثنى عليه خيراً، قال: «قلت لأنس بن مالك: هل بقي من أصحاب رسول الله ﷺ أحد غيرك؟ قال: ناس من الأعراب رأوه، فأما من صحبه فلا. رواه مسلم بحضرة أبي زرعة». «الباعث الحثيث» ص ٢٠٣. قال ابن الصلاح: وإسناده جيد حدث به مسلم بحضرة أبي زرعة، وانظر «فتح المغيث» ص ٣١ ج ٤ وقال: في كلام أبي زرعة الرازي وأبي داود ما يقتضي أن الصحبة أخص من الرؤية، فإنهما قالوا في طارق بن شهاب: له رؤية وليس له صحبة.

وقال عاصم الأحول: قد رأى عبد الله بن سرجس رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن له صحبة. وقال ابن كثير: «وهذا إنما نفى فيه الصحبة الخاصة، ولا ينفي ما اصطلاح عليه الجمهور من أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة» «الباعث الحثيث» ص ٢٠٣، وانظر «الكفاية» ص ٥٠.

قال أبو بكر الباقلاني (٣٣٨-٤٠٣هـ) بعد أن عرف الصحابي لغة: «وكذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق =

والصحابي عند الأصوليين أو بعضهم: هو كل من طالت مجالسته
للرسول ﷺ، على طريق التبعية له والأخذ عنه^(١) وقول أنس بن مالك، وسعيد
ابن المسيب قريب من قول الأصوليين.

ثانياً - طبقات الصحابة :

صحيح أن أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كل من روى
عن النبي ﷺ حديثاً أو كلمة، ويتوسعون حتى إنهم يعدّون من رآه رؤية من
الصحابة، قالوا: هذا لشرف منزلة النبي ﷺ. إلا أن الصحابة رضي الله
عنهم طبقات ودرجات، فهناك السابقون في الإسلام، الذين طالت
صحبتهم، وبذلوا أموالهم ودماءهم للدعوة، وهناك من رآه في حجة الوداع
رؤية، وبين هؤلاء وهؤلاء درجات ومراتب كثيرة، وهناك من لازمه في الليل
والنهار في حله وطمعه، في صيامه وفطره، وفي مرحه عليه الصلاة والسلام
وجده، وفي جهاده ومناسكه، وعرف عنه كثيراً من دقائق الأعمال وشريف

= الاسم. ومع هذا فقد تقرر للأمة عرف أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن
كثرت صحبته، واتصل لقاءه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه
خطاً وسمع منه حديثاً، فوجب لذلك ألا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا
على من هذه حاله» «الكفاية ص ٥١، و«فتح المغيث» ص ٣١ ج ٤.

(١) انظر «تدريب الراوي» ص ٣٩٧، و«فتح المغيث» ص ٣١، و ٣٢ ج ٤ حكاه أبو
المظفر السمعاني عن الأصوليين وقال: «إن اسم الصحابي يقع على ذلك من حيث
اللغة والظاهر، وحكاية الأمدي وابن الحاجب وغيرهما، وبه جزم ابن الصباغ في
«العدة» فقال: الصحابي هو الذي لقي النبي وأقام عنده واتبعه، فأما من وفد عليه
وانصرف عنه من غير مصاحبة ولا متابعة، فلا ينصرف إليه هذا الاسم».

السنن، فلا يعقل أن يكون جميع الصحابة في مرتبة واحدة، ولا يتصور هذا في ميزان العدالة والمنطق، لذلك كان الصحابة طبقات بإجماع الأمة، واختلف المؤلفون في تصنيف الصحابة إلى طبقات، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات، وجعلهم الحاكم اثني عشرة طبقة، وزاد بعضهم أكثر من ذلك^(١).
والمشهور ما ذهب إليه الحاكم، وهذه الطبقات هي^(٢):

- ١ - قوم تقدم إسلامهم بمكة كالحلفاء الأربعة.
- ٢ - الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة في دار الندوة.
- ٣ - مهاجرة الحبشة.
- ٤ - أصحاب العقبة الأولى.
- ٥ - أصحاب العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار.
- ٦ - أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بقاء قبل أن يدخل المدينة.
- ٧ - أهل بدر.
- ٨ - الذين هاجروا بين بدر والحديبية.
- ٩ - أهل بيعة الرضوان في الحديبية.
- ١٠ - من هاجر بين الحديبية وفتح مكة، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي هريرة^(٣).

(١) انظر «الباعث الحثيث» ص ٢٠٧، و«فتح المغيث» ص ٤٠ و ٤١ ج ٤ و«تدريب الراوي» ص ٤٠٧.

(٢) «معرفة علوم الحديث» ص ٢٢ - ٢٤، وقارن بـ «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ف ١٩٤٢ - ١٩٤٦.

(٣) أسلم أبو هريرة قديماً، وهاجر في أواخر غزوة خيبر. انظر «فتح المغيث» ص ٤٠ ج ٤، وانظر كتابنا «أبو هريرة».

١١ - مسلمة الفتح ، الذين أسلموا في فتح مكة .

١٢ - صبيان وأطفال رأوا النبي ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرهما .

وقد أجمع أهل السنة على أن أفضل الصحابة أبو بكر، ثم عمر، ولم يختلف أحد من الصحابة والتابعين في أفضليتهم على جميع الصحابة^(١)، ثم عثمان بن عفان، ثم علي، وحكى الخطابي عن أهل السنة من الكوفة تقديم علي على عثمان، وبه قال: ابن خزيمة، ثم بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة^(٢).

ثالثاً - كيف يعرف الصحابي؟

يعرف الصحابي بأحد الأدلة التالية :

-
- (١) إنما الخلاف في عثمان وعلي رضي الله عنهما، ولا مبالاة بأقوال أهل التشيع ولا أهل البدع . وانظر «صريح السنة» للطبري ص ٢ : ب .
(٢) انظر «الباعث الحثيث» ص ٢٠٨ ، و «فتح المغيث» ص ٤١ ، و «تدريب الراوي» ص ٤٠٧ .

وتمام العشرة المبشرين بالجنة : سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح . وانظر «مسند» الإمام أحمد ص ١٠٩ ج ٣ وص ١١٠ و ١١١ منه .
ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، وعنهم لهم مزية أهل العقبتين من الأنصار، والسابقون الأولون، وهم من صلى القبلتين في قول ابن المسيب ومحمد بن سيرين وقتادة، وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان، وفي قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار أهل بدر، وقيل : هم الذين أسلموا قبل الفتح، وهو الحسن البصري .
انظر «تدريب الراوي» ص ٤٠٩ ، و «الباعث الحثيث» ص ٢٠٨ ، و «فتح المغيث» ص ٤٣ ج ٤ .

١ - الخبر المتواتر: كآبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم .

٢ - الخبر المشهور، أو المستفيض القاصر عن حد التواتر، كعُكاشة بن محصن، وضام بن ثعلبة .

٣ - أن يخبر أحد الصحابة عنه أنه صحابي، كحممة بن أبي حمزة الدؤسي الذي توفي بأصبهان مبطوناً، فشهد له أبو موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ .

٤ - أن يخبر عن نفسه بأنه صحابي بعد ثبوت عدالته ومعاصرته للرسول ﷺ^(١) .

٥ - أن يخبر أحد التابعين بأنه صحابي بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح^(٢)، ويمكن ضم الثالث والخامس أحدهما إلى الآخر، فنقول أن يخبر بذلك من تقبل شهادته .

فالصحبة رتبة ومكانة لا تثبت لأحد إلا بدليل أو بينة توافرت فيها جميع الشروط والأركان التي يجب أن تتوافر في كل بينة، فإذا قامت البينة المقبولة لأحد في ذلك نال شرف الصحبة .

(١) راجع تفصيل ذلك في «فتح المغيث» ص ٣٤ ج ٤، و«تدريب الراوي» ص ٤٠٠، و«الباعث الحثيث» ص ٢١٥، و«الروض الباسم» ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) انظر «تدريب الراوي» ص ٤٠٠، وهذا ما زاده ابن حجر على ما ذكره غيره من طرق معرفة الصحابي، وقد استخرجت هذه الطرق من المراجع السابقة: «فتح المغيث» ص ٣٤ ج ٤، و«تدريب الراوي» ص ٣٩٩، و«الباعث الحثيث» ص ٢١٥، و«الكفاية» ص ٥١ .

رابعاً - عدالة الصحابة :

إن للصحبة شرفاً، يمنح صاحبها ميزة خاصة، وهي أن جميع الصحابة عند من يعتد به من أهل السنة عدول، سواء من لابس منهم الفتن ومن لم يلبس^(١)، وهو قول الجمهور.

(١) انظر، «الكفاية» ص ٤٦ - ٤٩، و«الباعث الحثيث» ص ٢٠٥، و«فتح المغيث» ص ٣٥ ج ٤، و«تدريب الراوي» ص ٤٠٠.

وقال قوم: إن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية.

ومنهم من قال: إنهم لم يزالوا عدولاً إلى أن وقع الاختلاف والفتن بينهم، فبعد ذلك لا بد من البحث في عدالتهم.

ومنهم من قال: وهم المعتزلة - كما صرح بهذا ابن كثير في «الباعث الحثيث» ص ٢٠٥ -: إن كل من قاتل علياً عالماً فهو فاسق مردود الرواية والشهادة، لخروجهم على الإمام الحق.

ومنهم من قال برد رواية الكل وشهادتهم، لأن أحد الفريقين فاسق وهو غير معلوم ولا معين.

ومنهم من قال بقبول رواية كل واحد منهم وشهادته إذا انفرد لأن الأصل فيه العدالة، وقد شككنا في فسقه، ولا يقبل ذلك منه مع مخالفه، لتحقق فسق أحدهما من غير تعيين.

والمختار إنهما هو مذهب الجمهور من الأئمة، وذلك بالأدلة الدالة على عدالتهم ونزاهتهم وتميزهم على من بعدهم. انظر «الإحكام في أصول الأحكام» للامدي ص ١٢٨ ج ٢، ونحوه في «فتح المغيث» ص ٣٦ ج ٤.

قال ابن حزم: «نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب... ثم بعد هؤلاء أهل العقبة - الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة -، ثم أهل بدر، ثم أهل المشاهد مشهداً مشهداً، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذي بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى =

وقد ورد في الصحابة ما يوجب لهم العدالة، ويجعلهم في ذروة الثقة والاثتبان، فقد زكاهم الله تعالى ورسوله، وتقبلت الأمة ذلك بالإجماع.

١ - أدلة عدالة الصحابة من الكتاب :

قال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاءًا لَهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجْدِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوَارِثِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

= تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم أنهم كلهم مؤمنون صالحون، ماتوا كلهم على الإيمان والهدى والبر، كلهم من أهل الجنة، ولا يلج أحد منهم النار. «ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية لاستاذنا أبي زهرة رحمه الله ص ٢٥٩ . ويتبين لنا من كلام ابن حزم أن أصحاب رسول الله ﷺ حتى بيعة الرضوان في غزوة الخديبية كلهم من أهل الجنة، معتمداً في ذلك على ما ورد من نصوص في القرآن والسنة، وأما من جاؤوا بعد هؤلاء فلم يقطع بأنهم من أهل الجنة . وقال شارح مسلم الثبوت : «إن عدالة الصحابة مقطوعة، ولا سيما أصحاب البدر وبيعة الرضوان، كيف لا وقد أثنى عليهم الله تعالى في مواضع عديدة من كتابه، وبين رسول الله ﷺ فضائلهم غير مرة». «شرح مسلم» الثبوت ص ٤٠١ ج ٢ . ويقول في موضع آخر: «واعلم أن عدالة الصحابة الداخلين في بيعة الرضوان والبدرين كلهم مقطوع العدالة، لا يليق لمؤمن أن يمتري فيها، بل الذين آمنوا قبل فتح مكة أيضاً عادلون قطعاً، داخلون في المهاجرين والأنصار، وإنما الاشتباه في مسلمي فتح مكة، فإن بعضهم من مؤلفة القلوب، وهم موضع الخلاف، والواجب علينا أن نكف عن ذكرهم إلا بخير فافهم». «المنهج الحديث في علوم الحديث» ص ٦٢ عن «شرح مسلم» الثبوت . فمسلمو الفتح لم ينص على عدالتهم ومع هذا يوجد ما يدل على عدالتهم، وستعرض لهذا بعد قليل فليُنظر في موضعه .

آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴿١﴾.

وقال عز من قائل : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

وقال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣).

وقال : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَيْئًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٥).

تلك آيات كريمة تشهد بفضل ومكانة جميع الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ من أول الدعوة حتى غزوة الحديبية ، وهناك آيات أخرى تذكر

(١) ٢٩ : الفتح .

(٢) ١٠٠ : التوبة .

(٣) ٧٤ : الأنفال .

(٤) ٨ - ١٠ : الحشر .

(٥) ١٨ : الفتح .

فضلهم في كثير من المواقف في الهجرة والجهاد والغزوات .

وإن هذه وتلك أدلة قطعية - كما ذكر شارح مسلم الثبوت وابن حزم - تنص على عدالة الصحابة ، لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فهل بعد ذلك نطلب رضي الناس عنهم وتعديلهم إياهم ، وهل لإنسان بعد ذلك أن يطعن في صحابة نُصَّ على عدالتهم ، ولم يبد منهم ما يجرحهم أو يقدر فيهم ؟ هل بعد هذه الآيات مجال للشك في عدالة الصحابة الذين أسلموا قبل الفتح ؟ إن النصوص تنطق واضحة بذلك لا تحتل التأويل والظن ، ولكن الهوى المتبع يحمل صاحبه على إنكار الحق ، ولو كان كالشمس في رابعة النهار ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١) وسنرى في الأحاديث التالية تأكيداً واضحاً لمنزلة الصحابة الرفيعة .

٢ - أدلة عدالة الصحابة من السنة :

في صحاح السنة أحاديث كثيرة تشهد بفضل الصحابة جملة وآحاداً ، وفي أكثر الكتب كـ «صحيح» البخاري ، و «الجامع الصحيح» لمسلم ، و «السنن» الأربعة ، وغيرها أبواب خاصة في فضل الصحابة .

* من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢) .

* ومنها ما رواه عبد الله بن مغفل وأخرجه الترمذي وابن حبان في

(١) ٣٢ : التوبة .

(٢) «صحيح» مسلم ص ١٩٦٨ ج ٤ .

«صحيحه» قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»^(١).

* وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(٢).

(١) «الكفاية» ص ٤٨، وانظر «الجامع الصغير» ص ٥٤ ج ١.

(٢) «صحيح» مسلم ص ١٩٦١ ج ٤، وانظر «تلقيح فهم أهل الآثار» ص ٢٦: ب، وانظر «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» ص ٢٢٦ - ٢٦١ ج ٣ حيث أخرج كثيراً عن الإمام مالك والشيخين وأصحاب «السنن» في فضل الصحابة. وانظر ما رواه الطبري في «أفضلية الصحابة في كتابه «صريح السنة» ص ٢: ب.

وقد يقول قائل: إن هذه الأدلة تتناول أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه قبل الفتح، وأما من أسلم بعد الفتح فلا دليل على عدائهم. فأسوق جواباً له قول الدكتور محمد السباحي: «وأما مسلمة الفتح والأعراب الوافدون على رسول الله ﷺ فهؤلاء لم يتحملوا من السنة مثل ما تحمل الصحابة الملائمون لرسول الله ﷺ، ومن تعرض منهم للرواية كحكيم بن حزام، وعتاب، وغيرهم عرفوا بالصدق والديانة، وغاية الأمانة، على أنه ورد ما يجعلهم أفضل ممن سواهم من القرون بعدهم، كقوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسحوا الكذب» وهو حديث صحيح مروي في الصحيحين وغيرهما بالفاظ مختلفة.

أقول: انظر «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ج ٣ حيث أخرج عن الشيخين وعن أبي داود والترمذي والنسائي، ورواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة وفيه: «ثم يحيى قوم يحبون السانة، ويشهدون قبل أن يُستشهدوا»=

وقد نص الفاروق عمر رضي الله عنه على عدالة الصحابة جميعاً إلا من أظهر ما يسقط عدالته فقال: «إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإننا أخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريره شيء، الله يحاسبه في سريره، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدق، وإن قال: إن سريري

= انظر «مسند» الإمام أحمد ص ٩٠ حديث ٧١٢٣ ج ١٢، وانظر ص ٢٩ حديث ٢٩٦٣ ج ٦.

والخيرية لا تكون إلا للعدول الذين يلتزمون الدين والعمل به، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. [١١٠: آل عمران]

والخطاب الشفهي لصحابة رسول الله ﷺ، ومن حضر نزول الوحي، وهو يشمل جميعهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ [١٤٣: البقرة]. وسطاً: عدولاً... فالإسلام كان في أول شبابه فتياً وقوياً في قلوب من أذعنوا له واتبعوا هداه، وتمسكوا بمبادئه، واصطبغوا بصبغته، فكانت العدالة قوية في نفوسهم، شائعة في آحادهم، حتى إننا نرى الذين وقعوا منهم في الكبائر ما لبثوا أن ساقطتهم عزائمهم إلى الاعتراف وطلب الحد، ليظهروا به أنفسهم، وسارعوا إلى التوبة حيث تاب الله عليهم، ولا نريد بقولنا: الصحابة عدول، أكثر من أن ظاهريهم العدالة - «المنهج الحديث» ص ٦٣ - لا يبحث عنها ما لم يطعن فيها.

ثم إن الجرح لا يدعيه ولا يشته أي إنسان كيف شاء ومتى شاء، فللجرح والتعديل رجال جهابذة أتقياء يخشون الله لا يتبعون أهواءهم، فلو سلمنا جدلاً وجوب البحث عن بعض الصحابة لتهم وجهت إليهم، فإنه لا يقبل هذا الجرح إلا ببيان علته، ولا يتصدى لهذا المتورون والمغرضون، من أهل الأهواء وغيرهم، بل يتصدى له عدول الأمة من أئمة الصدر الأول، الذين خالطوا الصحابة، وعاشوا معهم، وعرفوا عنهم كل شيء، إذ رب فضيلة عند النقاد العدول يراها المغرضون رذيلة ومنقصة، وليست جميع الذنوب والهفوات مسقطة للعدالة.

٣ - أدلة عدالة الصحابة من الإجماع :

قد أجمعت الأمة على عدالة الصحابة جميعاً^(١)، فلا يجوز لأحد أن يطعن فيهم خشية أن يخالف الكتاب والسنة اللذين نصا على عدالتهم، فبعد تعديل الله تعالى ورسوله لهم لا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد.

على أنه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام شيء في تعديلهم لوجب تعديلهم لما كانوا عليه من دعم الدين والدفاع عنه، ومناصرتهم للرسول والهجرة إليه، والجهاد بين يديه، وبذل المهج والأموال، والمحافظة على أمور الدين، والقيام بحدوده ومراسيمه، والتشدد في أمثال أوامر الله تعالى ونواهيه، حتى إنهم قتلوا أقرب الناس إليهم، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم في سبيل الله، وإقامة دعائم الإسلام. كل ذلك دليل على قوئهم وإيمانهم، وحسن إسلامهم، وأمانتهم، وإخلاصهم.

لذلك وجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، لأن ما وقع إنما كان نتيجة لما أدى إليه اجتهد كل فريق «من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين، وعلى هذا فلما أن يكون كل مجتهد مصيباً، أو أن المصيب واحد والآخر مخطئ في اجتهاده، وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، أما

(١) «الكفاية» ص ٧٨.

(٢) إلا أفراداً معدودين اختلف في عدالتهم للاختلاف في استقامتهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة. راجع «العواصم من القواصم» لابن العربي، فإنه يتناول أحوال الصحابة، ويفند بعض الأقوال والطعون، ويوضح ما قيل فيهم، ويثبت براءتهم. وذكر في «الروض الباسم» ص ١٢٨ - ١٣٠ بعض من جرح من الصحابة.

بتقدير الإصابة فظاهر، وأما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع^(١). أي أن جميع من اشترك في الفتنة من الصحابة عدول لأنهم اجتهدوا في ذلك.

ثم إن الكلمة اجتمعت بعد الفتنة في عام الجماعة، حين تنازل الحسن ابن علي رضي الله عنه للخليفة معاوية بن أبي سفيان، وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنه قال عن سبطه الحسن بن علي وكان معه على المنبر: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(٢)» فسمى الرسول ﷺ الجميع «مسلمين» وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا^(٣)﴾ فسماهم «مؤمنين» مع الاقتتال.

ويقال: إنه لم يكن من الصحابة في الفريقين مئة^(٤)، وقد بينت عدالتهم، مع أنهم اشتركوا مع أحد الفريقين، واشتراكهم هذا لا يسلبهم العدالة، لأنهم مجتهدون في ذلك.

قال الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (٢٢ ق هـ - ٥١ هـ) - في مجلس المغيرة بن شعبة - مخاطب التابعين من أهل الكوفة: «والله لمشهد شهد رجلاً يُغبر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح عليه السلام^(٥)».

واختتم الكلام في عدالة الصحابة جميعاً بقول أبي زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق،

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» للأمدي ص ١٢٩ - ١٣٠ ج ٢.

(٢) «فتح الباري» باب مناقب الحسن والحسين ص ٩٦ ج ٨.

(٣) ٩: الحجرات.

(٤) انظر «الباعث الحثيث» ص ٣٠٦.

(٥) «مسند» الإمام أحمد ص ١٠٩ ج ٣، وإسناده صحيح.

وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، فالجرح بهم أولى^(١).

خامساً- عدد الصحابة :

إن حصر الصحابة رضي الله عنهم بالعدد والإحصاء متعذر، لتفرقهم في البلدان والبوادي، ولأنهم كثرة لا يمكن إحصاؤها، ومن حدهم من العلماء فإنه من باب التقريب، وقد روى البخاري في «صحيحه» أن كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «وأصحاب رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ»^(٢).

ويمكننا أن نحدد عددهم بحد قريب من الحقيقة، مما ورد في روايات بعض الصحابة والتابعين عن عددهم في بعض المشاهد.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان، فصام وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بالكديد أفطروا ثم مضى في عشرة آلاف من المسلمين حتى نزل عمر صرار»^(٣). وكان ذلك عام

(١) «الكفاية» ص ٤٩.

(٢) «فتح المغيث» ص ٣٩ ج ٤، وقارن بـ «نور اليقين» ص ٢٤٦ حيث ذكر عددهم ٣٠ ألفاً، وقارن بـ «تلقيح فهوم أهل الآثار» ص ٢٧: ب. وبـ «الأحكام لابن حزم» ص ٦٦٥ ج ٥.

(٣) «تلقيح فهوم أهل الآثار» ص ٢٧: ب، والكديد عين جارية بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها. انظر «معجم البلدان» ص ٢٢٤ ج ٧. وأما عمر صرار ففي الأصل المخطوط (مر الصران) وأظنه خطأ من الناسخ، فإني لم =

الفتح^(١).

وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع تسعون ألفاً من المسلمين^(٢).

وسأل رجل أبا زُرعة الرازي فقال له : «يا أبا زرعة ، أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث؟ قال : ومن قال ذا؟ قلقل الله أنيابه ، هذا قول الزنادقة ، ومن يحصي حديث رسول الله ﷺ؟ قبض رسول الله ﷺ عن مئة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه . قيل : يا أبا زرعة ، هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه؟ قال : أهل المدينة ، وأهل مكة ، ومن بينهما ، والأعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع»^(٣).

من هذا يتبين أن من روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة كثيرون ، وقد نقلوا عنه خيراً عظيماً ، ويختلفون في مقدار ما حملوا عنه باختلاف أحوالهم وسماهم منه ﷺ .

سادساً - علم الصحابي :

لم يكن الصحابة على درجة واحدة من العلم بسنة رسول الله ﷺ وأحواله وأقواله ، بل كانوا متفاوتين^(٤) لأن منهم المتفرغ للملازم لرسول الله عليه

= أجد في «معجم البلدان» (الصران) أو مر الصران وفيه (صرار) ، وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، وقيل : (صرار) ماء قرب المدينة . انظر «معجم البلدان» ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ج ٥ وكلا المعنيين مناسب لهذا المقام .

(١) انظر «صحيح» مسلم ص ٧٨٤ - ٧٨٥ ج ٢ .

(٢) انظر «نور اليقين» ص ٢٥٦ وقارن بـ «تلقيح فهوم أهل الآثار» ص ٢٧ : ب .

(٣) انظر «فتح المغيث» ص ٣٩ ج ٤ و «الجامع لأخلاق الراوي» ف ١٩٤٧ و «تلقيح فهوم أهل الآثار» ص ٢٨ : آ .

(٤) انظر «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لابن تيمية ص ٣ حيث تكلم عن تفاوت الصحابة في الإمام بالأحكام .

الصلاة والسلام، يخدمه في معظم أوقاته، كانس وأبي هريرة رضي الله عنهما، ومنهم من له ماشيته في البادية، أو تجارته في الآفاق، ومنهم البدوي والحضري والمقيم والظاعن، وقد سبق أن بينت كيف كانوا يتلقون الأحكام والعلم عن الرسول ﷺ، لذلك كان الصحابة عليهم رضوان الله مختلفين في مقدار ما حملوا عنه عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك يقول مسروق: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا، فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي المئة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم»^(١).

(١) وتمة قول مسروق: «فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذا». «طبقات» ابن سعد ص ١٠٤ قسم ٢ ج ٢، والإخاذا هو الغدير، وجمعها أخاذا نادر. انظر «لسان العرب» مادة (أخذ) ص ٤ ج ٥. وانظر كتاب العلم «لزهر بن حرب ١٨٩: آ. ويمكننا أن نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم: «بأحد وجهين لا ثالث لهما، أحدهما: كثرة روايته وفتاواه، والثاني كثرة استعمال النبي ﷺ له، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي ﷺ من لا علم له، وهذا أكبر شهادات على العلم وسعته». «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم ص ١٣٦ ج ٤. وهذا لا يكفي لمعرفة علم الصحابي وروايته، لأن بعض الصحابة الذين عرفت ملازمتهم للرسول ﷺ وسبقهم للإسلام بالتواتر، كأبي بكر وعمر اللذين حملا علماً كثيراً عنه عليه الصلاة والسلام، لم يظهر علمهم كله لنا، وبخاصة أبو بكر، لأنه لم يعيش كثيراً بعد رسول الله ﷺ ليحتاج إليه كما احتجج إلى غيره، فامتداد عمر الصحابي إلى جانب الوجهين السابقين اللذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا عن علمه ومروياته، كما أن ظهور أمور جديدة في الحياة مع مر الزمن يكشف عن علم الصحابة، لأنه يحتاج إلى ما عندهم تجاه تلك الأمور المستجدة، وفي هذا يقول ابن حزم:

«ثم وجدنا الأمر طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها ألفت مسند ومثي مسند وعشرة مسانيد،=

بهذا العرض السريع يمكننا أن نتصور اختلاف تحمل الصحابة عن الرسول ﷺ.

وجميعهم عندنا عدول، في منزلة شريفة ومقام كريم، لا نفضل أحداً على غيره عصبية أو هوى، بل لكل صحابي فضله ومنزلته، بما له من سبق في الإسلام، وبذل في سبيل الله، وكلهم خير، نالوا شرف الصحبة، فكانوا أمناء مخلصين للشريعة الغراء التي نقلوها إلى التابعين، ثم نقلها هؤلاء إلى من بعدهم، ثم نقلت جيلاً عن جيل حتى وصلتنا كاملة غير منقوصة بفضل الله وحسن رعايته.

ونرى لتمام الفائدة أن نذكر الصحابة المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ.

= وحديث أبي هريرة... «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ص ١٣٨ ج ٤. ونحن في بحثنا هذا يهمننا الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ، وحملوا لنا الشريعة الحنيفة، ونقلوا إلى من بعدهم أفعال الرسول عليه الصلاة والسلام وتصرفاته دقيقها وعظيمها، في سفره وحضره، وظعنه وإقامته، وسائر أحواله من نوم ويقظة، وإشارة وتصريح، وصمت ونطق، إلى غير ذلك. وأوجز الآن في عدد من روى عنه عليه الصلاة والسلام من الصحابة وعدد مروياتهم، فقد روى عنه ﷺ سبعة من الصحابة، لكل منهم أكثر من ألف حديث وأحد عشر صحابياً، لكل واحد منهم، أكثر من مئتي حديث، وواحد وعشرون صحابياً لكل واحد أكثر من مئة حديث، وأما أصحاب العشرات فكثيرون، يقربون المئة، وأما من له عشرة أحاديث أو أقل من ذلك فهم فوق المئة، وهناك نحو ثلاث مئة صحابي روى كل واحد منهم عن الرسول ﷺ حديثاً واحداً.

جمع بقي بن مخلد في «مسنده» الدقيق مرويات الصحابة، وذكر عدد مسانيدهم، إلا أنه لم يصلنا هذا المسند، بل وصلتنا أخباره، وبعض ما فيه وما ذكرته من عدد مرويات الصحابة ذكره أبو البقاء الأحمدي نقلاً عن مسند الإمام ابن مخلد، انظر «البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح» ص ٩: ب - ١٣: ب.

سابعاً - الصحابة المكثرون من الرواية عن الرسول ﷺ (١):

أكثر الصحابة رواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام سبعة هم:

١ - أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدؤسي اليماني رضي الله عنه، المولود سنة (١٩ق.هـ)، والمتوفى سنة (٥٥٩هـ). وعدة ما رواه: (٥٣٧٤) حديثاً.

٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، المولود سنة (١٠ق.هـ)، والمتوفى سنة (٧٣هـ). وعدد أحاديثه (٢٦٣٠) ألفاً حديث وست مئة وثلاثون حديثاً.

٣ - أنس بن مالك رضي الله عنه، المولود سنة (١٠ق.هـ)، والمتوفى سنة (٩٣هـ) وعدد أحاديثه (٢٢٨٦) ألفاً حديث ومئتا حديث وستة وثلاثون حديثاً.

٤ - عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين رضي الله عنهما، المولودة سنة (٩ق.هـ)، والمتوفاة سنة (٥٨هـ) وقيل: سنة (٥٧هـ). وعدد أحاديثها (٢٢١٠) ألفاً حديث ومئتا حديث وعشرة أحاديث.

٥ - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، المولود سنة (٣ق.هـ)، والمتوفى سنة (٦٨هـ). وعدة أحاديثه (١٦٦٠) ألف حديث وست مئة حديث وستون حديثاً.

(١) أهم المصادر: «البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح» لأبي البقاء محمد بن خلف الأحمدي، مخطوط دار الكتب المصرية ص ٩: ب وما بعدها، وكتاب «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» لابن حزم ص ٢٧٥ وما بعدها، و«السنة قبل التدوين» ص ٤١١ - ٤٨٠.

٦ - جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، المولود سنة (١٦٦ق هـ) ، والمتوفى سنة (٧٨هـ) . وعدة أحاديثه (١٥٤٠) ألف حديث وخمس مئة حديث وأربعون حديثاً .

٧ - أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان الأنصاري رضي الله عنه المولود سنة (١٢ق هـ) ، والمتوفى سنة (٧٤هـ) . وعدة أحاديثه (١١٧٠) ألف حديث ومئة حديث وسبعون حديثاً .

ونرى من المناسب أيضاً أن نذكر فيما يلي آخر الصحابة وفاة في الأقطار والبلدان المختلفة ، لنذكر ما بذلوا في سبيل الدعوة إلى الله وتحرير العباد من العبودية لغيره سبحانه وتعالى .

ثامناً - آخر الصحابة وفاة^(١) :

اتسعت رقعة البلاد الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان في طليعة الجيوش الإسلامية صحابة رسول الله ﷺ ، وكانوا كلما دخلوا بلداً أقاموا فيه المساجد^(٢) ، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون أموره وينشرون فيه الإسلام ، ويعلمون أبناءه القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء ، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأمصار ، يرشدون أهلها ويعلمون أبناءها وقد دخل الناس في دين الله أفواجا ، والتفوا حول أصحاب الرسول

(١) أهم مصادر هذه الفقرة «مقدمة» ابن الصلاح ص ١١٨ ، و «فتح المغيث» ص ٤٥ - ٥٢ ج ٤ ، و «الباعث الحثيث» ص ٢١٤ ، و «تدريب الراوي» ص ٤١٢ - ٤١٤ ، و «سير أعلام النبلاء» ، و «الإصابة في تمييز الصحابة» ، و «تهذيب التهذيب» . انظر تراجم الصحابة المذكورين .

(٢) انظر «الخطط» للمقريزي ص ٢٤٦ ج ٢ .

ﷺ، ينهلون من ينبابيع التي أخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم، وحفظوا السنة الشريفة، وهكذا أصبحت في الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة، تشع منها أنوار الإسلام وعلومه، إلى جانب مراكز الإشعاع الأولى التي أمدت هذه الأقطار بالأساتذة الأول^(١).

وكان آخر الصحابة وفاة على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي توفي (١١٠هـ) بمكة.

وآخر من توفي منهم بالمدينة السائب بن يزيد بن سعيد الكندي توفي سنة (٩١هـ) إحدى وتسعين وقيل: قبل ذلك.

وقيل: سهل بن سعد بن مالك الأنصاري توفي سنة (٨٨هـ) بالمدينة وقد جاوز المئة، وقال بعضهم: كانت وفاته بمصر.

وتأخر عنها محمود بن الربيع الخزرجي فكانت وفاته سنة (٩٩هـ) بها.

وكان آخر من توفي من الصحابة بالطائف عبد الله بن عباس رضي الله عنه توفي سنة (٦٨هـ).

وكان آخر من توفي منهم في البادية سلمة بن الأكوع الأسلمي، توفي سنة (٧٤هـ)^(٢).

وآخر من توفي منهم بالكوفة عبد الله بن أبي أوفى، توفي سنة (٨٧هـ).

(١) انظر الصحابة الذين نزلوا مختلف البلاد في كتابنا «السنة قبل التدوين» ص ١٦٤ وما بعدها.

(٢) لما استشهد عثمان رضي الله عنه خرج سلمة إلى الرثّة، وتزوج هناك، وقبل أن يموت بليال نزل إلى المدينة. انظر «سير أعلام النبلاء» ص ٢٢٣ ج ٣.

وآخر من توفي منهم بالشام عبد الله بن بشر المازني، توفي سنة (٨٨٨هـ) وقبل : سنة (٩٦هـ) وله مئة سنة . وتوفي بها أيضاً أبو أمانة صدي بن عجلان الباهلي سنة (٨٦هـ) .

وآخر من توفي بالجزيرة العُرس بن عُميرة الكندي .

وآخر من توفي منهم بمصر عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي توفي سنة (٨٦هـ) .

وآخر من توفي منهم ببرقة رُوَيْفَع بن ثابت الأنصاري المدني، توفي سنة (٥٦هـ) .

وآخر من توفي منهم باليمامة الهُرْماس بن زياد الباهلي، توفي سنة (١٠٢هـ) .

وآخر من توفي منهم بفلسطين أبو أبي عبد الله بن عمرو (ابن أم حرام) .

وآخر من توفي منهم بخراسان بُريدة بن الحُصَيْب الأسلمي ، توفي سنة (٦٣هـ) وأبو بَرَزَة نُفْلَة بن عُبيد الأسلمي ، وقد توفي سنة (٦٥هـ) .

وآخر من توفي منهم بـبِسْجِسْتَان العَدَاء بن خالد بن هُوَذة العامري ، توفي بعد سنة مئة من الهجرة .

وآخر من توفي منهم بأصبهان النابغة الجُعدي : قيس بن عبد الله العامري توفي نحو سنة (٥٠هـ) وقد جاوز المئة . رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين .

تاسعاً - أشهر ما صنف في الصحابة :

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له صحبة، وخاصة من

عانى منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول ﷺ، وكانوا يحفظون أسماء كثير منهم، وقد حرص العلماء على حصرهم، وبيان مروياتهم وأحوالهم وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم، وقد صنف في الصحابة نحو أربعين مؤلفاً من أجمعها كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لشيخ الإسلام الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الكناني (ابن حجر) العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وهو أجمع ما صنف في هذا الباب، وقد طبع أكثر من مرة في مصر والهند، وفيه (٩٤٧٧) اسماً، و (١٢٦٨) كنية للصحابة، و (١٥٥٢)، ترجمة للصحابات.

obeikandi.com

المبحث الثالث

التابعون^(١)

١ - التابعي هو من لقي واحداً من الصحابة فأكثر، وقال بعضهم : لا يكفي مجرد الالتقاء، بخلاف الصحابي، فقد اكتُفي فيه بذلك، لشرف لقاء النبي ﷺ، والاجتماع به، أو رؤيته، فإن لذلك أثراً كبيراً في إصلاح القلوب، وتزكية النفوس، مما لا يتهاى لمن يلقى الصحابي من غير متابعة له، وطول أخذ عنه .

ولكن أكثر المحدثين يرون أن التابعي هو من لقي واحداً من الصحابة فأكثر، وإن لم يصحبه، وعدوا من التابعين بعض من رأى صحابياً من غير أن يصحبه، وهذا إقرار منهم بأن التابعي من رأى الصحابي^(٢) .

(١) انظر «معرفة علوم الحديث» ص ٤١، و «مقدمة» ابن الصلاح ص ١٢٣، و «الباعث الخفي» ص ٢١٦، و «فتح المغيب» ص ٥٢ ج ٤، و «تدريب الراوي» ص ٤١٦ .

(٢) واشترط ابن حبان أن يكون رآه في سنن من يحفظ عنه، أي أن يكون مميزاً، فإن كان صغيراً لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته، قال العراقي : (وما اختاره ابن حبان له وجه، كما اشترط في الصحابي رؤيته وهو مميز، قال : وقد أشار النبي ﷺ إلى الصحابة والتابعين بقوله : «طوبى لمن رآني وأمن بي، وطوبى لمن رأى من رأيي الحديث»، فاكتمى فيها بمجرد الرؤية) .

أخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر، وله طرق أخرى . والحديث حسن . وانظر «الفتح الكبير» ص ٢١٥ ج ٢، و «فتح المغيب» ص ٥٢-٥٣ ج ٣، وتدريب الراوي» ص ٤١٦ .

٢ - وعدد التابعين يفوق الحصر، لأن كل من رأى صحابياً كان من التابعين، وقد توفي رسول الله ﷺ عن نيف ومئة ألف من الصحابة، رحلوا إلى مختلف البلدان، وانتشروا في جميع الأفاق، ورآهم ألوف الأتباع.

٣ - والتابعون طبقات، جعلها الحاكم النيسابوري خمس عشرة طبقة، آخرهم من لقي أنس بن مالك من أهل البصرة، ومن لقي عبد الله بن أبي أوفى من أهل الكوفة، ومن لقي السائب بن يزيد من أهل المدينة، ومن لقي عبد الله بن الحارث بن جزء من أهل مصر، ومن لقي أبا أمامة الباهلي من أهل الشام^(١).

وقد اتفق أئمة الإسلام على أن آخر عصر التابعين هو حدود سنة خمسين ومئة من الهجرة، وأن سنة (٢٢٠هـ) آخر عصر أتباع التابعين.

٤ - ومن التابعين المخضرمين، واحد منهم مخضرم^(٢)، وهو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي ﷺ وأسلم ولم يره. كأبي رجاء العطاردي، وسويد بن غفلة، وغيرهم من التابعين، وقد عدّهم الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي نيفاً وأربعين مخضرم^(٣).

(١) انظر «معرفة علوم الحديث» ص ٤٢ و ٤٣.

(٢) المخضرم - بفتح الراء - لغة: من قضي نصف عمره في الجاهلية، ونصفه في الإسلام، أو من أدركهما، والناقص الحسب، والدّعي، ومن لا يعرف أبوه. واللحم المخضرم - الذي لا يعرف من ذكر أو أنثى. وناقعة مخضومة قطع طرف أذنهما، انظر «القاموس المحيط» مادة (خضرم) ص ١٠٨ ج ٤.

وربما أطلق المحدثون ذلك لأن المخضرم عندهم أدرك الجاهلية وزمن النبي وأسلم ولم يره، فهو متردد بين الصحابة - لمعاصرتهم الرسول ﷺ - والتابعين لعدم لقائه الرسول ﷺ مع إمكان ذلك.

(٣) انظر «تذكرة الطالب المعلم بمن يقال: إنه مخضرم» ص ٧ وما بعدها و «معرفة =

٥ - وقد اختلف المحدثون في أفضل التابعين^(١).

ومن أكابر النساء من التابعين : حفصة بنت سيرين «توفيت بعد سنة مئة هجرية»، وعمرة بنت عبد الرحمن (٢١ - ٩٨هـ)، وأم الدرداء الصغرى الدمشقية (ت: ٨١هـ) رضي الله عنهن أجمعين.

٦ - ومن أعلام التابعين الفقهاء السبعة بالمدينة، وهم سعيد بن المسيّب (١٥ - ٩٤هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٧ - ١٠٧هـ)، وعُروة بن الزبير (ت: ٩٤هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت (٢٩ - ٩٩هـ)، وسليمان بن يسار (٣٤ - ١٠٧هـ)، وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (ت: ٩٨هـ)، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (ت: ٩٤هـ)، وقيل: سالم بن عبد الله بن عمر (ت: ١٠٦هـ)، وقيل: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ت: ٩٤هـ)^(٢). رضي الله عنهم أجمعين.

= علوم الحديث» ص ٤٤.

(١) قال أهل المدينة: أفضلهم سعيد بن المسيّب (١٥ - ٩٤هـ)، وقال أهل الكوفة: أفضلهم علقمة بن قيس النخعي (٢٨ ق هـ - ٦٢هـ)، والأسود بن يزيد النخعي (ت: ٧٥هـ)، وقال بعضهم: أويس القرني الزاهد (ت: ٣٧هـ)، وقال أهل البصرة: الحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ)، وقال أهل مكة: عطاء بن أبي رباح (٢٧ - ١١٤هـ).

وكل هؤلاء أهل فضل وعلم، ويمكننا أن نلحق بهم كثيراً من أكابر التابعين، كعروة ابن الزبير (٢٢ - ٩٤هـ) وعامر الشعبي (١٩ - ١٠٣هـ)، ومحمد بن سيرين (٣٣ - ١١٠هـ)، وغيرهم. انظر «تدريب الراوي» ص ٤٢١، و«فتح المغيث» ص ٥٤ ج ٤، و«الباعث الحثيث» ص ٢١٩ و«السنة قبل التدوين» ص ٤٨٥.

(٢) انظر اختصار علوم الحديث: ٢١٩، وفتح المغيث: ٥٥ ج ٤، وتدريب الراوي: ص ٤٢١.

obeikandi.com

المبحث الرابع

آداب رواية الحديث ومجالسه

إن مقام التحديث مقام رفيع ، لأن المحدث يخلف الرسول ﷺ في تبليغ الناس أحكام الشريعة وبيانها ، وينقل أخباره وهديه وصفاته وغير ذلك ، ولهذا بين العلماء آداب المحدث وصفاته ، وآداب طالب الحديث وما يتعلق بهما^(١) .

(١) أهم مصادر هذا البحث : «المحدث الفاضل بين الراوي والواعي» فقرة (٨٢٥) - (٨٣٦) و (٨٦٨ - ٨٧١) و (٧١٨ - ٧٢٠) وغيرها ، و «الجامع لأخلاق الراوي» (باب ذكر ما ينبغي للراوي والسماع أن يتميزا به من الأخلاق الشريفة) (ف ٣٩ - ٤٦) و (باب آداب الطلب) (ف ١٧٦ - ٣٢٤) و (باب آداب السماع) (ف ٣٢٩ - ٣٥٩) و (ف ١١٥٤ - ١١٥٨) وانظر (باب املاء الحديث وعقد المجالس له) (ف ١١٦٦ - ١١٨٩) وانظر مبحث (مبلغ السن الذي يستحسن التحديث معه) (ف ٧٢٣ - ٧٣٥) و (باب توقيير المحدث طلبه العلم واخذه نفسه بحسن الاحتمال لهم والحلم) (ف ٧٩٤ - ٧٩٧) وانظر (ف ٨٦٤ - ١٠٥٩) و (تعيين المحدث للطلبة يوم المجلس) (ف ١١٩٤ - ١١٩٨) و (عقد المجالس في المساجد) (ف ١١٩٩ - ١٢٠٣) وهذه من المباحث الهامة ، و «جامع بيان العلم» ص ١٠٥ ج ١ وما بعدها ، و «تذكرة السامع والمتكلم» ص ٣٨ وما بعدها ، و «معرفة علوم الحديث» ص ١٤١ ، و «مقدمة» ابن الصلاح ص ٩٦ - ١٠٥ ، و «اختصار علوم الحديث» ص ١٧٠ - ١٧٨ ، و «تدريب الراوي» ص ٣٣٢ - ٣٥١ ، وسنذكر بعض المصادر في مكانه عند الضرورة .

١ - آداب المحدث :

أول صفات المحدث التي يجب أن يتصف بها إخلاص النية لله عز وجل، فعليه أن يصحح نيته، ويطهر قلبه من أعراض الدنيا وأدناسها، فلا يجلس للتحدث من أجل جاه، أو حب رياسة، أو تكثير أتباع، أو لمنافع أخرى، فالأصل أن تكون غايته وهمه نشر الحديث وتبليغه عن الرسول ﷺ، لا يبتغي عنه بديلاً «فإنها الأعمال بالنيات، وإنها لكل امرئ ما نوى».

وقد امتنع كثير من السلف عن التحديث إذا لم تحضره النية، كسفيان الثوري، وحبيب بن أبي ثابت، وسلام بن سليم وغيرهم.

واختلف العلماء في السن التي يحسن أن يتصدى فيها المرء للتحدث، فقال بعضهم: يجلس للتحدث في سن الخمسين، وقال آخرون في الأربعين، والصحيح أن يحدث متى احتيج إلى ما عنده في أي سن كان، وينبغي أن يمسك عن التحديث إذا خشي التخليط لهرم، أو خرف، أو مرض، أو عمى، وغير ذلك مما يحول دون أداء المروي أداءً صحيحاً، ويختلف ذلك باختلاف الناس.

وأوجب العلماء أن يكون المحدث حسن الأخلاق، حميد السيرة، جميل الشيم، ورأوا أنه من الأولى له أن لا يحدث بحضرة من هو أولى منه، لسنه، أو علمه أو غير ذلك، وكان كثير من السلف لا يحدث في حضرة من هو أولى منه.

ويستحب للمحدث إذا أراد حضور مجلس التحديث - أن يتطهر طهوره للصلاة، ويتطيب ويستاك، ويقبل على الناس نظيف اللباس حسن السمات والهئية، ويتمكن من جلوسه بوقار وهيبة، تعظيماً لحديث الرسول ﷺ.

ومن واجب المحدث أن يقبل على الطلاب جميعاً، ولا يخص بالحديث

بعضهم دون بعض، كما ينبغي أن لا يسرد الحديث سرداً، بل يحدث على وجه يستطيع جميع الطلاب فهمه وإدراكه.

وعليه أن يصلي على الرسول ﷺ كلما ذكره، ويترضى على الصحابي عند ذكره، واستحب العلماء بل استحسنا أن يذكر المحدث شيوخه بالخير والثناء.

٢ - آداب طالب الحديث :

على طالب الحديث أن يخلص النية في طلبه، ويحذر أن يكون طلبه مطية لأغراض الدنيا، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ تَعَلَّمَ علماً مما يُبْتَغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(١).

وعلى طالب الحديث أن يتحلّى بكرم الأخلاق، وجميل الآداب، ويجد في طلب الحديث، ويستفرغ الوسع في تحصيله، فيبدأ السماع من شيوخ بلده، ويكثر مجالستهم، ثم يرحل إلى غيرهم من العلماء في البلدان الأخرى، كما فعل بعض الصحابة، وكثير من التابعين، ومن بعدهم.

وعلى الطالب أن يتحمل عن الشيوخ الثقات، ولا يتتبع الأحاديث الغريبة والمنكرة، ويحرص على العمل بما يسمع من أحاديث العبادات

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه، انظر «سنن» ابن ماجه ص ٩٢ حديث ٢٥٢ ج ١. وعرف الجنة: ربحها. وانظر كتاب «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي باب (كراهية طلب الحديث للمفاخرة وعقد المجالس واتخاذ الأتباع والأصحاب) ورقة ١٤: ب، وانظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» مبحث (ما قيل في طلب الرئاسة قبل وقتها وذم المثابر عليها وهو غير مستحقها) ف (٧١٦ - ٧٢٢) ومبحث (من كره التحديث على سبيل المباهاة) ف (٧٧٤ - ٧٧٦).

والآداب والفضائل، ليكون ممن يعمل بما يعلم، وهذا سبيل جيد لحفظ الحديث.

قال إبراهيم بن إسماعيل بن مجّمع: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»^(١). وقال عمرو بن قيس الملائي: «إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة، تكن من أهله»^(٢).

وعلى طالب الحديث احترام شيوخه وتقديرهم، ففي هذا إجلال العلم وأسباب الانتفاع به، وقد جاءت السنة بهذا، قال الرسول ﷺ: «ليس من أمّتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»^(٣)، وقد امتثل لهذا الحديث المحدثون وطلاب العلم، فلقي الطلاب رعاية وعناية من شيوخهم، كما لقي الشيوخ الاحترام والتوقير والطاعة من طلابهم.

وعلى طالب العلم أن لا يحول دون طلبه الكبر والعزة أو الحياء، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «من رقّ وجهه دقّ علمه»^(٤)، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهنّ الحياء أن يتفقهن في الدين»^(٥)، وقال الأصمعي: «من لم يحتمل ذلّ التعليم ساعة، بقي في ذلّ الجهل أبداً»^(٦).

ونبه العلماء الطلاب إلى عدم إطالتهم على شيوخهم حتى لا

(١ و ٢) «تدريب الراوي»: ص ٣٤٧.

(٣) رواه الإمام أحمد والطبراني في «معجمه الكبير» بإسناد صحيح. انظر «مجمع الزوائد» ص ١٢٧ ج ١.

(٤) «تدريب الراوي» ص ٣٤٩. أي من خجل في طلب العلم قلّ علمه.

(٥) «فتح الباري» ص ٢٣٩ ج ١.

(٦) «تدريب الراوي»: ص ٣٤٩.

يضجروهم، كما نبهوا إلى التزام ما يرضيهم، والبعد عما يسخطهم، كي يستمر التلقي وتعم الفائدة، كما أشاروا إلى وجوب تعاون الطلاب في طلب العلم، والسماع على الشيوخ الثقات، وحذروا الطلاب من كتم العلم والخير عن بعض إخوانهم، لما أثر في هذا من الزجر الشديد وعظيم الوعيد.

وإلى جانب هذا كله فإن تكثير الطرق، والسماع من الشيوخ، والرحلة في طلب التحديث لا ينفع الطالب إذا لم يُقرن بالفهم والدراية، لهذا حث العلماء طلابهم على التفقه والفهم والحفظ، كما حضّوهم على معرفة درجة ما يحملون من صحة وضعف، ورأوا ضرورة معرفة كل هذا سنداً وامتناً ولغة ومعنى، حتى لا يخفى على الطالب شيء، كما حثوا الطلاب على مذاكرة ما يسمعون، ومقابلة ما يكتبون، كيلا يند عن الطالب لفظ، أو تفوته فائدة.

٣ - مجالس الحديث :

لقد عرفت حلقات العلم منذ عهد الرسول ﷺ، وكثرت واتسعت مع اتساع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة المساجد فيها، وكانت مجالس الحديث تُفتتح بتلاوة شيء من القرآن الكريم، يرتله طالب حسن الصوت، ثم يسلم الشيخ، ويحمد الله عز وجل على نعمه، ويصلي على الرسول ﷺ، ويشرع في التحديث مما اختاره من الأحاديث، سواء من حفظه، أم من كتابه، بصوت واضح يسمعه البعيد كما يسمعه القريب، ويشرح الحديث، ويبين غريب ألفاظه، وفقهه، ورجال سنده، ويزيل ما فيه من مشكل، وقد يبينه بدلالة غيره من الأحاديث، ويضبط ما يخشى إشكاله، وغير ذلك، حتى يتضح لجميع الحضور، ثم يعيد قراءته ثانية لينتقل إلى غيره.

وقد كره أئمة الحديث للمحدث أن يطيل المجلس مخافة إملال السامعين، متأسين بالرسول ﷺ، الذي كان يتخول أصحابه رضي الله عنهم

بالموعظة في الأيام، كراهة السّامة عليهم، كما استحبوا التنويع في التحديث،
وختتم المجالس ببعض الحكايات، أو ما يستحسن من النوادر
والإنشادات^(١)، وينهي الشيخ مجلسه بالاستغفار، وحمد الله تعالى على نعمه
وآلائه^(٢).

وكره العلماء أن يقوم المحدث لأحد، وحرصوا على أن يسود حلقات
الحديث الخشوع والسكينة والوقار، فإن رفع أحد صوته في المجلس زجره
الشيخ، وكان الإمام مالك يفعل ذلك ويقول: «قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾»^(٣) فمن رفع صوته عند
حديثه، فكانوا رفع صوته فوق صوته^(٤).

٤ - مجالس الإملاء :

لم يكتف علماء السلف بإباحة كتابة الحديث، بل حضوا طلابهم على
كتابته، فعقدوا الحلقات، وتصدروا لإملاء الحديث، وكان لا يتصدر لذلك
إلا من بلغ رتبة عالية من العلم والمعرفة، لأن الإملاء أعلى مراتب الرواية،
واستحبوا لمن كان أهلاً لذلك أن يعقد حلقات الإملاء ليستفيد منه الطلاب،
وكان الشيوخ يخصصون أياماً معينة للإملاء من كل أسبوع.

(١) انظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: ف ١١٩٩ وف ١٤٢٧ - ١٤٣٦.

و «جامع بيان العلم» ص ١٠٥ ج ١ و «تدريب الراوي» ص ٣٤٣.

قال النووي: وأولاهما ما كان في الزهد ومكارم الأخلاق.

(٢) انظر أمثلة لذلك في «المحدث الفاضل» فقرة (٨٣٤ - ٨٣٦) و «الجامع لأخلاق

الراوي» ف ١٤٣٧ - ١٤٤٣.

(٣) ٢ : الحجرات.

(٤) «تدريب الراوي» ص ٣٣٦.

ويمكننا أن نعتبر أن أولى مجالس الإملاء في الإسلام كانت في عهد الرسول ﷺ، تلك المجالس التي كان يملئ فيها ما ينزل من آيات الكتاب المبين على كتاب الوحي، وبعض المجالس التي سمح فيها لبعض الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك بكتابة الحديث بين يديه^(١).

ثم أملى بعض الصحابة الحديث على خواص طلابهم، كما كتب غير واحد من التابعين عن كثير من الصحابة، ثم ما لبثت أن اتسعت مجالس الإملاء، فكان الصحابي المشهور واثلة بن الأسقع (ت: ٨٥هـ) يملئ على الناس الحديث وهم يكتبون بين يديه^(٢)، ثم تصدر كثير من التابعين للإملاء^(٣).

(١) انظر «سنن» الدرامي ص ١٢٥ ج ١، و«جامع بيان العلم» ص ٧١ ج ١، و«الإمام» ص ٢٧: ب، و«تقييد العلم» ص ٧٤، ٩٥، ٩٦.

(٢) انظر «الجامع لأخلاق الراوي» ف ١١٦٧، و«الأدب الشرعية» ص ١٢٥ ج ٥.

(٣) انظر «السنة قبل التدوين» ص ٣٢١ وما بعدها، و«المحدث الفاضل» فقرة (٨٦٨) وما بعدها.

وتنالى بعدهم أتباعهم وأهل العلم من بعدهم، وازداد تشجيع العلماء للطلاب على كتابة الحديث، حتى إن بعضهم كان يقول: ينبغي للطالب أن لا يفارقه محبرته وصحفه، لئلا يعرض له من يحدثه بها يحتاج إلى كتبه. انظر «الجامع لأخلاق الراوي» وآداب السامع» ف ١٦٠٤ - ١٦١٠.

ويستحب في الإملاء اختيار ما يستفيد منه كافة الناس، ويكره إملاء ما يدخل الشبه والالتباس، فكان العلماء يملون الأحاديث الفقهية التي تفيد معرفة الأحكام في العبادات والمعاملات، واستحب كثير من العلماء أن يبين الشيخ ما يرويه من حيث الصحة والمعنى، وفي هذا يقول الإمام سفيان بن عيينة: «إن العالم الذي يعطي كل شيء حقه»

انظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ف ١٣٦٥ وما بعدها و ف ١٣٩٩ وما بعدها، «تقدمة الجرح والتعديل» ص ٤٤.

واستحب العلماء أن يتخذ الشيخ مستملياً يبلغ عنه ما يحدث به وما يمليه، ومن أقدم من عرفنا أنه اتخذ مستملياً الإمام شعبة بن الحجاج (ت: ١٦٠هـ)، وقد اضطر المحدثون إلى اتخاذ المستمليين عندما كثر طلاب العلم، وتدفقوا على الحلقات العلمية من كل حذب وصوب، وكانت حلقات بعضهم لا يكفيها مستمل ولا اثنان، حتى بلغ المستملون لبعض المحدثين سبعة وأكثر من ذلك، يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه^(١).

ولا عجب في هذا إذا عرفنا أن المساجد قد ضاقت ببعض حلقات الإملاء، فاضطر العلماء إلى الجلوس في الفلاة، أو في الميادين الكبيرة، حتى إن عاصم بن علي الواسطي (ت: ٢٢١هـ) كان يجلس على سطح في رحبة واسعة، وينشر الخلق حوله، ويكثرون عليه، فيضطر إلى إعادة حديث أربع عشرة مرة، ومستمليه فوق نخلة معوجة يبلغ الناس عنه^(٢).

وكثر الحضور في حلقات الإملاء، حتى بلغ الحاضرون في مجلس أبي إسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي ثلاثين ألف رجل، وفي مجلس أبي مسلم الكنجي أربعين ألف كاتب سوى النظارة^(٣).

(١) انظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ف ١٢٢١ وف ١١٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر «تذكرة الحفاظ» ص ٣٥٩ ج ١.

(٣) انظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ف ١١٧٥ و ١١٧٨.

وكان المستملي يستنصت الناس في أول المجلس بعد سماع القرآن الكريم، ويعلمن ابتداء الإملاء بالبسملة وحمد الله تعالى والصلاة على الرسول ﷺ، ثم يقول للشيخ: «من ذكرت رحمك الله، أو رضي الله عنك» ونحو هذا، فيملئ المحدث، ويبلغ المستملي، وعلى هذا كانت مجالس الإملاء منذ منتصف القرن الهجري الثاني. واستحب العلماء أن يكون المستملي ذكياً متيقظاً من أهل التحصيل، جهوري الصوت، حسن البيان، فصيح اللسان، يتبع لفظ المحدث، يشرف على الناس في =

وقد بين العلماء أصول كتابة الحديث، وضبطه وتقييده، ومعارضته ومقابلته بعد مجالس الإماء، وأكدوا ضرورة ذلك وأهميته، كما ذكروا أصول التخريج على الحواشي، وتصحيح الأخطاء، وما يلحق بهذا، مما يؤكد عظيم عنايتهم، وكبير اهتمامهم بالحديث النبوي منذ صدر الإسلام، وكل هذا يزيدنا ثقة واطمئناناً إلى سلامة القواعد والأسس التي اتبعها المحدثون في نقل الحديث وروايته.

= تبليغه، فيجلس على مرتفع أو يقف قائماً، وقد ذكر الخطيب البغدادي بعض آداب المستملي، مما يضيق المقام بذكره. انظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ف ١٢٢١ - ١٢٤٢.

obeikandi.com

المبحث الخامس

ألقاب أهل الحديث

١ .. طالب الحديث : هو من شرع في طلب الحديث .

٢ - المُسْنِد - بضم الميم وكسر النون - وهو من يروي الحديث بإسناده سواء أكان عنده علم به أم لم يكن^(١) .

٣ - المحدث : هو من مهر في الحديث رواية ودراية ، وميز سقيمه من صحيحه ، وعرف علومه واصطلاحات أهله ، والمؤتلف والمختلف من رواته ، وضبط ذلك عن أئمة هذا العلم ، كما عرف غريب ألفاظ الحديث ، وغير ذلك ، بحيث يصلح لتدريسه وإفادته^(٢) .

٤ - الحافظ : هو من اجتمعت فيه صفات المحدث ، وضم إليها كثرة الحفظ وجمع الطرق ، كي يصدق عليه اسم الحافظ ، وقد فرق بعض المتأخرين ، فرأى أن الحافظ من وعى مئة ألف حديث متناً وإسناداً ، ولو بطرق متعددة ، وعرف من الحديث ما صح ، وعرف اصطلاح هذا العلم . وقال المزي : الحافظ ما فاته أقل مما يعرفه .

٥ - الحجة : فإذا وعى الحافظ أكثر من مئة ألف ، وأصبح ما يحيط به

(١) انظر «تدريب الراوي» ص ٧ ، و «حاشية لقط الدرر» ص ٥ .

(٢) انظر «تدريب الراوي» ص ١١ ، و «الجواهر والدرر» ص ٩ ج ١ ، و «معيد النعم ومبيد النقم» ص ٨٢ - ٨٣ .

ثلاث مئة ألف حديث مسندة، فهو حافظ حجة^(١).

٦ - الحاكم : هو من أحاط بجميع الأحاديث المروية، متناً وإسناداً، وجرحاً وتعديلاً وتاريخاً^(٢).

٧ - أمير المؤمنين في الحديث : يطلق هذا اللقب على من اشتهر في عصره بالحفظ والدراية، حتى أصبح من أعلام عصره وأئمة، وقد لقب بهذا اللقب عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان المدني (أبو الزناد) (ت : ١٣١ هـ)، وشعبة ابن الحجاج، وسفيان الثوري، والإمام مالك بن أنس، والإمام البخاري، وغيرهم، وهؤلاء من أبرز أعلام أئمة الحديث، وقد شهد لهم كبار الأئمة وجمهور الأمة بالإمامة والتقدم والرسوخ في هذا العلم^(٣).

(١) انظر «حاشية لقط الدرر» ص ٥، وقارن بـ «تدريب الراوي» ص ١٠. وانظر تفصيل القول في هذا «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» فصل (من يجوز إطلاق اللفظ في وصفه وتسميته بالحفظ) ف ١٥٦٣ - ١٥٧٥.

(٢) «حاشية لقط الدرر» ص ٥.

(٣) انظر «تقدمة الجرح والتعديل» ص ١٢٨، و «تذكرة الحفاظ» ص ١٢٧ ج ١، و «الجواهر الدرر» ص ٧ ج ١، و «هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث» ص ٧، و «الجامع لأخلاق الراوي» ف ١٩٥٩ وما بعدها، و «تقدمة الجرح والتعديل» ص ١١ - ١٣.

المبحث السادس

أشهر ما صنف في علوم الحديث

تكلمنا فيما سبق عن نشأة علوم الحديث ومصطلحه، وذكرنا أشهر ما صنف في علوم الحديث، وأن لنا أن نتكلم الآن عن أشهر ما صنف في (أصول الحديث) نعني علوم الحديث ومصطلحه جملة.

ومصنفات أصول الحديث بالإضافة إلى الحديث، كمصنفات أصول الفقه بالإضافة إلى الفقه. وقد تبين لنا مما مضى أن جميع علوم الحديث نشأت متكاملة، في أوقات متقاربة يكمل بعضها بعضاً، ثم ما لبثت أن ظهرت المصنفات المختلفة في الجرح والتعديل، وفي تاريخ الرواة، وفي علل الحديث، وغريبه، وفي ناسخه ومنسوخه، وغير ذلك، حتى أصبح كل علم من هذه العلوم علماً مستقلاً له كيانه.

وقد تضافرت جميع هذه العلوم من أجل خدمة الحديث الشريف.

وإلى جانب تلك المصنفات ظهرت مصنفات أخرى تضم القواعد العامة لجميع هذه العلوم ومصطلحاتها، تلك القواعد التي تبين الصحيح من الضعيف، والمعل من السليم، والعدل من المجروح، وكل ما يتعلق بشؤون الرواية وطرق التحمل والأداء، وغير ذلك.

تلك القواعد التي أطلق عليها بعض العلماء اسم «مصطلح الحديث» حيناً، و«علوم الحديث» أحياناً، و«أصول الحديث» في بعض الأحيان.

وقد تناولت المصنفات الأولى جانباً من هذا العلم، وتتابع ظهور المصنفات قرناً بعد قرن، حتى كان أواخر القرن الرابع الهجري، وأوائل القرن الخامس، حيث بلغ التصنيف في أصول الحديث ذروة الكمال على يدي الخطيب البغدادي.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن بعض المصنفات الأولى لم تكن مقصورة على أصول الحديث خاصة، بل كان منها ما ذكر في جانب من كتب أصول الفقه، ومنها ما ذكر في مقدمات بعض كتب الحديث، وسنذكر فيما يلي أشهر ما صنف في هذا العلم تبعاً للتسلسل التاريخي:

١ - لم تكد تأفل شمس القرن الهجري الثاني حتى ظهر كتاب «الرسالة» للإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ)، وهو أول كتاب ألف في أصول الفقه، كما أنه أول كتاب ألف في جانب من جوانب (علم أصول الحديث).

قال الإمام فخر الدين الرازي: «كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع، فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل»^(١).

(١) «مناقب الشافعي» لفخر الدين الرازي ص ١٠١ طبعة القاهرة سنة ١٣٧٩هـ .
وإلى جانب ما تناوله الإمام الشافعي في رسالته من أصول الفقه، تناول أهم قواعد أصول الحديث، حينما تحدث عن حجية خبر الأحاد، وشروط صحة الحديث، وعدالة الرواة، ورد الخبر المرسل والمنقطع، والرواية باللفظ والمعنى وشروطها وغير ذلك.

= انظر على سبيل المثال كتاب «الرسالة» ص ٥٧ وما بعدها، وفقرة ٢٣٦ - ٣١٠ وما بعدها، وف ٦٣٠ وف ٩٩٨ - ١٢٦١، وف ١٠٠١ - ١٠٠٢، وف ٧٧٤ و ٧٥٧ وف ١٢٦٢ - ١٣٠٨ وغيرها.

وهذا كان له شرف السبق إلى تدوين أصول الفقه وأصول الحديث، ولا تزال جهوده في هذا المضمار ماثلة أمامنا في كتابه الذي كتب له الخلود. وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة، وقد حققه الأستاذ أحمد شاكر تحقيقاً علمياً جليلاً، فظهر في ثوب جديد سنة (١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م) وهذه الطبعة أحسن طبعة للكتاب «الرسالة».

وبعد ربع قرن تقريباً - وفي مطلع القرن الثالث - يضع الإمام علي بن عبد الله المديني (١٦١ - ٢٣٤) كتابه «أصول السنة»، وكتاب «مذاهب المحدثين» في جزأين، ولا نستطيع الحكم على هذين الكتابين لأنهما لم يكتب لهما الوصول إلينا.

انظر «تاريخ العلماء والرواة بالأندلس» ص ٢١ ج ١ ترجمة ١٧، و«تهذيب التهذيب» ص ٣٤٩ ج ٧، و«طبقات الخنابلة» ص ١٦٨، و«تاريخ بغداد» ص ٤٥٨ ج ١١. وبعد ربع قرن تقريباً من وفاة علي بن عبد الله المديني يدون لنا الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٤ - ٢٦١هـ) بعض أصول الحديث في مقدمة كتابه «الصحيح»، وهي - وإن كانت مقدمة لكتابه - تعد مدخلاً جيداً إلى علم أصول الحديث، وتؤكد رسوخ أهم قواعد هذا العلم منذ زمن بعيد.

بين في مقدمته طبقات الرواة الذين يقبل حديثهم، ومن لا يقبل حديثهم، والمنكر من الحديث ومعرفته، وزيادة الثقة، وجوب التحمل عن الثقات، وتجنب الرواية عن الضعفاء والكذابين، وأهمية الإسناد، كما ذكر بعض طرق معرفة الكذابين، وغير ذلك، ثم ختم مقدمته بصحة الاحتجاج بالحديث المعنعن.

ولا يمكننا أن نعد ما جاء في الأبواب الأولى من بعض كتب «السنن» كـ «سنن» الدارمي، وابن ماجه تصنيفاً في أصول الحديث، وإن تناول بعض فروعها، لأنه أقرب إلى الخوض على التمسك بالسنن وطلب العلم وتبليغه منه إلى أصول الحديث.

وقبل نهاية القرن الثالث يطالعنا الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن هارون بن روح البردنجي (٣٠١هـ) بعدة مؤلفات في علوم الحديث، وبأكثر من مصنف في أصوله، =

٢ - وتتابع التصنيف في أصول الحديث، حتى إذا كان القرن الرابع الهجري ظهرت مصنفات جامعة في هذا العلم، فمن أقدم من صنف في هذا القرن القاضي المحدث أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرّامهرمزيّ، المولود نحو سنة (٢٦٥هـ) والمتوفى سنة (٣٦٠هـ)، فقد صنف كتابه «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» الذي يعد أقدم كتاب جامع في أصول الحديث، وعده كثير من المصنفين أول من صنف في هذا العلم.

ولاهمية هذا الكتاب ومكانته آثرت تحقيقه وتعليق حواشيه وتخريج أحاديثه، لأنه يعطي صورة صادقة عن مؤلفات المتقدمين، كما يؤكد رسوخ قواعد هذا العلم منذ زمن بعيد، وقد حالت كثرة أسفاري دون نشره منذ الانتهاء من تحقيقه سنة (١٣٨٤ - ١٩٦٤)، والحمد لله عز وجل فقد تم نشره سنة (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، ويقع كتاب «المحدث» في نحو (٦٥٠) صفحة بعد تحقيقه.

٣ - وفي أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس يضع إمام نيسابور

= ككتاب «معرفة المتصل من الحديث والمرسل والمقطوع، وبيان الطرق الصحيحة»، وقد نقل عن هذا الكتاب غير واحد من المصنفين، وكتاب «معرفة أصول الحديث»، وإذا لم يكتب لهذه المؤلفات الوصول إلينا، فقد كتب لكثير من أقواله النقل والبقاء في مصنفات من خلفه.

ومن كتب البرديجي كتاب «الاسماء المفردة» الذي حدث به المؤلف بعد سنة (٢٨٠هـ) بالأهواز، توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع من ص ٢٨٨ - ٣٠٧ تحت الرقم ٤٦ تاريخ. وتوجد نسخة ثانية منه باسم «طبقات الاسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث» تحت رقم (٥٢٥ حديث). انظر «فهرسة» ابن خير ص ٢٠٧، و«المقنع في علوم الحديث» ص ١٥٢. وذكر الخطيب البغدادي فيما ورد به دمشق باسم «كلام البرديجي في معرفة أصول الحديث» انظر «الخطيب البغدادي» للدكتور العش ص ٩٧.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الحاكم (٣٢١-٤٠٥) كتابه «معرفة علوم الحديث»، وقد ذكر فيه اثنين وخمسين نوعاً من أنواع علوم الحديث، إلا أنه (لم يهذب ولم يرتب) كما قال شيخ الإسلام ابن حجر^(١).

والكتاب مع هذا جيد، وهو من أقدم ما وصلنا من مصنفات أواخر القرن الرابع، طبع الكتاب في مجلد وسط بتحقيق الدكتور معظم حسين سنة (١٩٣٧م) بالقاهرة.

٤ - وبعد حوالي نصف قرن لمع نجم محدث المغرب الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) الذي صنف كثيراً في الحديث وعلومه. . . وله فيما يتعلق بموضوعنا مقدمة كتابه «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» فكانت مقدمته جامعة لكثير من قواعد أصول الحديث^(٢).

٥ - وكما تألق في مغرب البلاد الإسلامية نجم ابن عبد البر تألق في مشرقها كوكب عظيم كان له الأثر البعيد في تدوين أصول الحديث وتهذيبه، ذاك هو الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣) فصنف في قوانين الرواية كتاب «الكفاية

(١) انظر «شرح نخبة الفكر» ص ٢.

(٢) تناول ابن عبد البر في «التمهيد» حجية خبر الأحاد، وبين الخبر المتصل، والمنقطع، والمسند، والمرسل، الموقوف، وبين معنى التدليس، وما يقبل من هذا، وما لا يقبل، كما بين أهمية الإسناد، وضرورة الثبوت في الحديث، وغير ذلك. كما أننا نرى بعض فروع هذا العلم في كتابه «جامع بيان العلم وفضله». انظر على سبيل المثال ص ٦٣ وما بعدها، وص ٧٨-٨١ وص ٩٢-٩٥، وص ١٠٤-١١٠ وص ١٥١-١٥٧.

في علم الرواية» وهو أجمع كتاب في فنه، طبع سنة (١٣٥٧) بالهند.

وصنف في آداب الرواية كتاب «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»^(١)، وهو أقدم وأجمع كتاب في آداب السماع والرواية وما يتعلق بهما.

وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً^(٢) وصدق الحافظ أبو بكر بن نقطة حين قال: «كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه»^(٣).

٦ - وكثرت المؤلفات بعد ذلك ومن أشهرها كتاب «علوم الحديث» لشيخ

(١) كنت قد حققته منذ خمس سنوات في نحو ألف صفحة، ورغب المجمع العلمي العراقي في طبعه فأرسلته إليه، وحالت الحرب العراقية الإيرانية دون ظهوره في وقت مبكر.

(٢) انظر كتاب «الخطيب البغدادي» للدكتور العش حيث ذكر له نحواً من ثمانين مؤلفاً، أكثرها في الحديث وعلومه.

(٣) انظر «شرح نخبة الفكر» ص ٢.

ومن أشهر من صنف في أصول الحديث بعد الخطيب البغدادي عالم المغرب القاضي الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤هـ) فقد صنف كتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، وقد طبع سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م بمصر بتحقيق السيد أحمد صقر. نشر دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس.

كما صنف المحدث أبو حفص عمر بن عبد المجيد المياشي - عرف عند المحدثين بالمياشي، وفي «كشف الظنون»، و «معجم البلدان» (المياشي) نسبة إلى قرية (مياش)، بفتح الميم، وتشديد الياء، ونون مكسورة وشين، من قرى المهديّة بأفريقية - المتوفى سنة (٥٨٠هـ) جزءاً سماه «مالا يسع المحدث جهله» توجد منه عدة نسخ مخطوطة. منها في مكتبة (شهيد علي) وفي مكتبة رامبور، انظر بروكلمان ص ٦٣٣ ج ١ فقرة ٣٧١.

الإسلام. تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (٥٧٧ هـ - ٦٤٣ هـ) المعروف بابن الصلاح، وقد اشتهر كتابه باسم «مقدمة» ابن الصلاح ذكر فيه خمسة وستين نوعاً من أنواع فنون الحديث، وجمع فيه كثيراً من أقوال المتقدمين، وحرره تحريراً جيداً، لهذا عكف عليه أهل العلم بالدرس والشرح والنظم والاختصار، حتى صار عمدة ومناً لمن جاء بعده^(١).

ومن الملاحظ أن المصنفات الأولى في أصول الحديث ككتاب الرامهرمزي، والحاكم، والخطيب البغدادي تضم مادة غزيرة، تتناول أقوال كثير من أئمة السلف وقواعدهم في مختلف علوم الحديث، وهي غنية بالأمثلة الكثيرة التي توضح مذاهب المتقدمين، وتثبت أطراد وصحة القواعد التي ساروا عليها واتبعوها.

أما المصنفون بعد هؤلاء فقد اكتفوا بذكر تلك القواعد، وإيراد بعض الأمثلة أحياناً، وذكر مذاهب بعض الأئمة أحياناً أخرى، عارية عن الشواهد الكثيرة التي تثبت تلك المذاهب، فكانت هذه المصنفات أكثر إيجازاً من سالفاتها، وإن كانت تلك أغنى بأقوال أئمة الحديث.

(١) طبعت مقدمة ابن الصلاح مراراً في مصر وغيرها، وطبعت أخيراً طبعة جيدة بتحقيق الدكتور نور الدين عتر سنة (١٣٨٦ - ١٩٦٦) في مطبعة الأصيل بحلب، ونشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

وتنالت المؤلفات بعد ابن الصلاح، وكثرت كثرة يضيق المقام بسردها، حتى إننا لا نكاد نرى مشتغلاً في الحديث إلا وله مصنف في أصوله، أو شرح لبعض ما صنف فيه، أو اختصار لمبسط، أو نظم لمثور، أو معارضة لمنظوم، وغير ذلك مما ذكره بعض المتأخرين، ونحن في غنى عن إعادة ذكره هنا. وانظر «الرسالة المستطرفة»، و «تدريب الراوي» ص (د).

ويمكن أن يعمم هذا الحكم على أكثر مصنفات المتأخرين خلا مصنفين جليلين من مصنفات أواخر القرن التاسع الهجري، وهما «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، وقد طبع هذا الكتاب في مجلد كبير بالهند. والكتاب الثاني «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ). طبع هذا الكتاب عدة مرات، ومن أجودها طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) في جزء كبير، ثم طبعه طبعة ثانية لنفس المحقق في مجلدين، سنة (١٣٨٥ - ١٩٦٦) بمصر^(١).

(١) - وقد جمع هذان الكتابان بين طريقتي المتقدمين والمتأخرين، ومع هذا لا يغني هذان الكتابان الباحث المتخصص عن الرجوع إلى المؤلفات الأولى، لأنها معين هذا العلم وخزائن مكنونه، التي تمدنا بكثير مما لا نجده في هذين الكتائين، ولا في غيرهما من المصنفات المتأخرين.

ولا بد من الإشارة هنا إلى عيون ما صنف بعد القرن العاشر في هذا الميدان، فمن أشهر تلك المصنفات: كتاب «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» للعلامة محمد ابن إسماعيل الأمير الصنعاني (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ) وهو كتاب جامع جيد لولا بعض المسائل الاستطردادية، طبع في جزأين بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد سنة (١٣٦٦هـ) بمصر.

وكتاب «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» لعلامة بلاد الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)، وهو كتاب جامع فيه فوائد جلييلة، وبيان لأمهمات مسائل علوم الحديث ودقائقها وآراء العلماء فيها، طبع الكتاب مرتين كانت الثانية منها سنة (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م) بالقاهرة.

وكتاب «توجيه النظر إلى أصول الأثر» للعالم البحاث الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ - ١٣٣٨هـ)، وهو كتاب قيم عرض علوم الحديث عرضاً علمياً دقيقاً، وغاص في =

.....
= مسائلها ونكاتها، وذكر فوائد كثيرة التقطها من كتب السابقين، فغدا كتابه من أجمع الكتب التي صنف بعد القرن العاشر، طبع في مصر سنة (١٣٢٩هـ) كما صور أخيراً في لبنان.

وكتاب «قواعد في علوم الحديث» للعلامة المحقق المحدث الفقيه ظفر أحمد العثماني التهانوني الباكستاني (المعاصر) شيخ الحديث وعلومه في دار العلوم الإسلامية، والكتاب قيم جامع طبع مراراً، وطبعته الثالثة بتحقيق وتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غده في مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب سنة ١٣٩٢ - ١٩٧٢.
وهناك مؤلفات كثيرة للعلماء المعاصرين لا سبيل لحصرها.